جامعة الروح القدس - الكسليك

رُوّادُ مِن نهضةِ الفنِّ التشكيليِّ في لبنان

القدّيس وسرور والصليبي
(١٨٧٠-١٩٣٨)

د. مهى عزيزة سلطان

الكسليك - لبنان
٢٠٠٦

امرأة بالخمار – حبيب سرور
زيتية – غير موقعة [د. ت] – ٤٠ × ٣٠ سم
مجموعة يولاند نعوم سرور

سيدة مصرية – حبيب سرور
زيتية – غير موقعة [د. ت] – ٤٥ × ٣٥ سم
مجموعة يولاند نعوم سرور

وجوه نساء من مصر ولبنان

يعود موضوع البدويات في فن سرور إلى مرحلة إقامته في مصر. فقد لفتته في وجوه النساء غموض اللباس الأسود وشكل الخمار، ومظاهر البداوة في بر مصر وصعيده.

لم تكن المرأة إلاّ عالماً مغلقاً، يصعب على المرء أن يخترقه. لكن سرور حاول أن يكشف النقاب عن وجوه النساء وأن يجلو شيئاً من غموض الزي الأسود الذي يوحّد قامات النسوة، حين يخرجن من بيوتهن إلى بر الحياة. وقد استطاع أن يلتقط بعض التعابير في نظرات العيون الكحيلة التي يزداد بروزها مع الخمار الذي يغطي الوجه. ونعثر في إنتاج سرور الكلاسيكي في تلك الآونة، على نموذج لامرأة تموضعت أمامه في جلسات متنوّعة. فظهرت واقفة تحمل جرّة الماء، أو جالسة وقد وضعت يدها على خدّها، فضلاً عن نماذج أخرى لفتيات مراهقات خجولات.

ثم تكرُّ سبحة وجوه الفلاحات والبدويات. ويمكن التمييز بسهولة بين الوجوه في المرحلة المصرية ومثيلاتها في المرحلة اللبنانية، من ظهور المكوك النحاسي اللون، الذي يتوّج رؤوس النساء المصريات، عند الجبين مثل مخلّفات أميرات الفراعنة القدماء، وهو الذي يثبّت الخمار على الوجه عند حافة الأنف.

ورغم الألوان الشاحبة الشديدة القتامة التي سيطرت على «باليت» سرور في تلك المرحلة، فقد أعطى البشرة السمراء جمالها العربي في تورُّد الخدّين. وقد حاول في دراسات تلك الوجوه التي صوّرها داخل المحترف، أن يكسر جمود الجلسة ورتابتها بحركة اليد المُسندة إلى الوجه، وأن يضيء ليل اللباس الأسود بنضارة اللحم ولمعان السوار الذي يزيّن المعصم.

توسع موضوع البدويات في فن سرور على أوسع نطاق بعد عودته إلى لبنان، واجداً تنوعاته الكبيرة. فقد انتقلت ريشة سرور من الوصف الخارجي لوجوه البدويات الحساوات والمسنّات، إلى التعبير عن المعاناة الداخلية والآلام التي ترتسم على وجوههن، من جراء شظف العيش والارتحال.